

الكشاف

روي أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بني كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف إليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعدها فيها ليلا فأغضبه ذلك . وقيل : أجت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فأحرقتها ليلا فأغضبه ذلك . وقيل : أجت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهدم الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنى عشر فيلا غيره . وقيل : ثمانية وقيل : كان معه ألف فيل وقيل كان وحده ؛ فلما بلغ المغمس خرج إليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى وعبأ جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى غيرها من الجهات هروا ؛ فأرسل طيرا سودا . وقيل : خضرا وقيل : بيضا مع كل طائر حجر في منقاره وحجران فرجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة . وعن ابن عباس Bهما أنه رأى منها عند أم هانئ نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الطفاري فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا في كل طريق ومنهل ؛ ودوى أبرهة فتساقطت أنامله وآرابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه . وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائره يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه . وقيل : كان أبرهة جد النجاشي الذي كان في زمن رسول الله ﷺ بأربعين سنة وقيل : بثلاث وعشرين سنة . وعن عائشة Bها : رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان . وفيه أن أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج إليه فيها فجهره وكان رجلا جسيما وسيما . وقيل : هذا سيد قريش وصاحب غير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال فلما ذكر حاجته قال : سقطت من عيني جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك وعصمتكم . وشرفكم في قديم الدهر فألهاك عنه ذود أخذ لك ؛ فقال أنا رب الإبل وللبيت رب سيمنه ثم رجع وأتى باب البيت فأخذ بحلقته وهو يقول : .

لاهم إن المرء يم ... نع رحله فامنع حلالك .

لا يغلبن صليبهم ... ومحالهم عدوا محالك .

إن كنت تاركهم وكع ... بتنا فأمر ما بدا لك .

يا رب لا أرجو لهم سواكا ... يا رب فامنع منهم حماكا .

فالتفت وهو يدعو فإذا هو بطير من نحو اليمن فقال : وإني لطيور غريبة ما هي بحرية ولا تهامية . وفيه أن أهل مكة قد احتوا على أموالهم وجمع عبد المطلب من جواهرهم وذهبهم الجور وكان سبب يساره . وعن أبي سعيد الخدري B أنه سئل عن الطير فقال : حمام

مكة منمها . وقيل : جاءت عشيّة ثم صبحتهم . وعن عكرمة : من أصابته جدريته وهو أول جدري
ظهر . وقرئ : ألم تر بسكون الرءاء للجد في إظهار أثر الجازم : والمعنى : أنك رأيت آثار
فعل ا بالحبشة وسمعت الأخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة . وكيف في موضع نصب
بفعل ربك لا بألم تر ؛ لما في كيف من معنى الاستفهام . في تضليل في تضييع وإبطال . يقال
: ضلل كيده إذا جعله ضالا ضائعا . ومنه قوله تعالى : " وما كيد الكافرين إلا في ضلال "
غافر25 وقيل : لامرئ القيس : الملك الضليل ؛ لأنه ضلل ملك أبيه أي : ضيعه يعني : أنهم
كادوا البيت أولا ببناء القليس وأرادوا أن ينسخوا أمره بصرف وجوه الحاج إليه فضلل كيدهم
بإيقاع الحريق فيه ؛ وكادوه ثانيا بإرادة هدمه فضلل بإرسال الطير عليهم . أبابيل حرائق
الواحدة : إبالة . وفي أمثالهم : ضغث على إبالة وهي : الحزمة الكبيرة شبهت الحزقة من
الطير في تضامها بالإبالة . وقيل : أبابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها وقرأ أبو
حنيفة C : يرميهم أي : ا تعالى أو الطير لأنه اسم جمع مذكر ؛ وإنما يؤنث على المعنى .
وسجيل : كأنه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما أن سجيننا علم للديوان أعمالهم
كأنه قيل : بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الإسجال وهو الإرسال ؛ لأن
العذاب موصوف بذلك وأرسل عليهم طيرا " فأرسلنا عليهم الطوفان " الأعراف 133 وعن ابن
عباسBهما : من طين يطبخ الآجر . وقيل : هو معرب من سنكل . وقيل : من شديد عذابه ؛
وروا بيت ابن مقيل :